

معارك حاسمة في التاريخ الإسلامي

معركة ملاذكرد 463هـ، 1071م "أ نموذجاً"

Ecisive Battles in Islamic History

The Battle of Malazgirt 463AH , 1071AD"as a Model"

العربي بوبكر¹ *

¹ جامعة يحي فارس المدية boubakeur.larbi@univ-medea.dz

الدراجي بلخوص²

² جامعة يحي فارس المدية belkhos.derradji@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/ 17 تاريخ القبول: 2024/11/ 05 تاريخ النشر: 2025/01/ 10

الملخص:

كان بروز السلاجقة في المشرق الإسلامي خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، حدثاً مميزاً على الصعيد السياسي والعسكري والحضاري، فزيادة على دورهم الحضاري خاصة في تطوير التعليم وتأسيس المدارس النظامية، التي كان لها الفضل الكبير في محاربة الفكر الشيعي، ففي الوقت نفسه كان السلاجقة حصناً منيعاً في مواجهة الأخطار البيزنطية المتكررة على الثغور الإسلامية، وفي هذا المقال نستعرض دور السلاجقة العسكري من خلال تصديهم للحد البيزنطي، والدفاع عن الأقاليم الإسلامية، وذلك من خلال استعراض معركة ملاذكرد التاريخية، فإلى أي مدى ساهمت هذه المعركة من خلالها نتائجها على إبراز القوة العسكرية للسلاجقة؟ وماهي انعكاساتها السياسية والحضارية والاستراتيجية؟

الكلمات المفتاحية: السلاجقة، العالم الإسلامي، الفكر الشيعي، البيزنطيين، المعركة.

Abstract:

The emergence of the seljuks in the Islamic East occurred during the fifth century AH, the eleventh century AD, was a distinctive of political military and civilization levels, in addition to their civilization role, especially in developing education and establishing regular schools, which had great merit in combating Shiite thought, at same time the Seljuks were a strong fortress in the face of the repeated Byzantine dangers on the Islamic borders.

. In this article, we review the military role of the Seljuks through their confrontation of the Byzantine expansion, the defense of the Islamic regions, and the repelling of the Byzantine threat, through reviewing the historical Battle of Malazgirt. To what extent did this battle, through its results, contribute to highlighting the military power of the Seljuks? What are its political, civilizational, and strategic repercussions?

Key words: Seljuks, Islamic world, Shiite thought, Byzantines, The Battle.

المؤلف المرسل: العربي بوبكر : boubakeur.larbi@univ-medea.dz

مقدمة:

سجلت صفحات التاريخ الإسلامي معارك خالدة كانت نتائجها حاسمة في توجيه أحداث الدولة الإسلامية ومنها معركة اليرموك والقادسية، فالأولى أدت إلى قهر الروم والثانية أسقطت إمبراطورية الفرس، ورغم النجاحات العسكرية المتوالية التي حققتها الجيوش الإسلامية في حركة الفتح شرقا وغربا سواء في العهد الأموي أو العباسي، إلا أنه خلال القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي شهد العالم الإسلامي ضعفا شديدا، كان نتيجة لعجز الخلفاء العباسيين عن صد الأخطار الخارجية، خاصة في ظل الفوضى العسكرية وتسلط العناصر الفارسية والتركية على مقاليد الحكم وعجز الخلفاء عن أداء دورهم السياسي والعسكري، وصار الأعاجم يخلعون وينصبون الخليفة، ورغم محاولات بعض الخلفاء استرداد سلطتهم إلا أن أغلبهم فشل في ذلك، حيث استمرت الخلافة العباسية عاجزة في التصدي للأخطار المختلفة، البيزنطيين والقرامطة من جهة، والفاطميين العبيدين الذين نزلوا مصر وتمددوا في بلاد الشام من جهة أخرى، فصارت الخلافة العباسية محاطة بكل هذه الأخطار، فكان ظهور السلاجقة وسيطرتهم على الخلافة العباسية حاسما في غمرة تلك الأحداث لمواجهة الخطر البيزنطي والصليبي والفاطمي، فمنهم السلاجقة وكيف وصلوا إلى الحكم؟، وإلى أي مدى كانت نتائج معركة ملاذكرد حاسمة في التاريخ الإسلامي؟.

1. أصل السلاجقة:

ينتسب السلاجقة إلى سلجوق بن دقاق، يعرف باسم تيمور يلغ (أي ذي القوس الحديد) قائد قبيلة قنق وهي أحد قبائل الغز التركية، تعد منطقة كاشغر الموطن الرئيسي لها وكان جدهم دقاق المرجع الأول في خدمة أحد ملوك قبائل الترك المدعو ييغو، حيث كان وزيرا في مملكته واستمر ابنه

سلجوق (339هـ، 901م، 401هـ، 1009م) على الأمر نفسه حتى ارتقى في مناصب عسكرية هامة، وتذكر المصادر التاريخية منها المؤلف القرمانلي في كتابه أخبار الدول وأثار الأول¹، أن سلجوق كان يتمتع بقدرات عسكرية عالية أبرزت ملامح القيادة فيه، حتى أن زوجة الملك ثارت شكوكها وأثارت مخاوف زوجها من خلال التفاف الناس حوله والحب الذي كان يكنه الناس له حتى يقال أنها أغرته بقتله، لكن سلجوق شعر بخطورة الموقف فانتقل سنة 359هـ، 970م وكان قد بلغ من العمر ستة وسبعين سنة، رفقة 500 من أفراد قبيلته بين رجال ونساء وأطفال، و100 فارس و50 ألف شاة إلى مدينة جند المسلمة بوسط آسيا قرب نهر سردايا (سيحون) الواقعة في إقليم بلاد ما وراء النهر حيث المياه الوفرة والمراعى الواسعة الخصبة²، بجوار الدولة السامانية التي كانت تعيش آخر أيامها، وقد أعجب بالمسلمين وأخلاقهم، فقرر سنة 375هـ، 985م التخلي عن ديانتة البوذية واعتنق الإسلام وكان عمره حينذاك 83 سنة، وبذلك تعد قبائل الغز التركية أول القبائل التركية التي دخلت الإسلام، وأصبح يُغير من حين لآخر على القبائل التركية الأخرى، ولما توفي سلجوق بن دقاق في سنة 399هـ، 1000م عن عمر ناهز 100 عام، كان له من الأبناء أربعة³، ساروا على نفس الطريق من خلال الاستمرار في شن الغارات على القبائل التركية الوثنية، وكان أكثرهم مشاركة في تلك الحملات ميكائيل بن سلجوق الذي استشهد في إحدى المعارك ضد الكفار الترك.

2. وصول السلاجقة إلى السلطة:

أسلمت القبيلة كلها وصارت في موطنها الجديد من القبائل المجاهدة التي أسهمت في الدفاع عن المسلمين خاصة وقوفها مع الدولة السامانية ضد خصومها الترك الوثنيين، لم تقو الدولة السامانية على مقاومة تلك الأخطار فسقطت سنة 389هـ، 999م، ورغم ذلك استطاعت هذه القبيلة أن تكسب حب المسلمين خاصة في وسط آسيا وأصبحت تعرف باسم السلاجقة.

أشعل سقوط الدولة السامانية الصراع بين الدول المعاصرة لها خاصة الغزنويين الذين أبدوا رغبة كبيرة في ضم أملاك السامانيين، وكانت فرصة لسلجوق بن دقاق كي يستغل تلك الظروف السياسية ليتوسع في أملاك السامانيين السابقة خاصة في الشمال الشرقي لإقليم بخارى، إلا أن المنية داهمت بعد وفاته سنة 399هـ، 1000م، عن عمر ناهز المائة وسبع سنين عاش أربع وعشرين منها في الإسلام لكن

يجب التنبيه انه رغم عمره القصير في الإسلام نسبيا إذا قورن بفترة حياته، إلا انه كان له الفضل الأكبر في إرساء أسس دولة سيكون لها شان كبير في تاريخ الحضارة الإسلامية سياسيا وعسكريا وحضاريا .
خلف سلجوق من الأولاد الأحياء: أرسلان وميكائيل وموسى. ومن هؤلاء الأولاد وأعقابهم نشأت الدولة السلجوقية، يعتبر طغرل بك باني دولة السلاجقة، وقد صارت دولتهم إمبراطورية عظيمة شملت أراضي واسعة من الإمبراطوريات السابقة الغزنوية والسامانية والبويهية والعباسية وحتى البيزنطية واستمرت أكثر من 270 سنة وحكمت باسم فروع مختلفة⁴.

عاصرت الدولة السلجوقية في بداية نشأتها دول وإمارات كبيرة ومنها الدولة السامانية(204هـ، 395هـ)، وقد وقفت عشائر السلاجقة معها في حروبها ضد الغزنويون، الدولة التي امتد عمرها الزمني من 351هـ، 582هـ، إضافة إلى دولة القراخانيون(349هـ، 536هـ)، كان الغزنويين في صدام مباشر مع السلاجقة سنأتي على ذكره فيما بعد، أما الدولة الثانية هي دولة آل بويه الشيعية (334هـ، 447هـ)، التي أسقطها السلاجقة.

عُرفت الدولة الغزنوية بقوتها وتوسع حدودها خاصة في عهد السلطان محمود الغزنوي⁵، حيث وصلت حدود دولته إلى بلاد الهند التي غزاها سبعة عشر مرة حتى وصلت حملاته إلى هضبة الدكن، وبذلك شكل مسعود الغزنوي إمبراطورية واسعة شملت الهند شرقا إلى و العراق غربا، و خراسان و طخارستان و جزء من بلاد ماوراء النهر شمالا إلى سجستان جنوبا حيث اتخذ من مدينة لاهور(هي ألان مقاطعة في دولة باكستان التي كانت سابقا مع الهند وبنغلادش تشكل ما يُعرف بشبه القارة الهندية) مقرا لحكمه في الهند حيث عين نائبا له⁶.

تعاظمت قوة السلاجقة في بداية القرن الخامس الهجري مما لفت انتباه السلطان محمود الغزنوي، فعبر سنة 415هـ نهر جيحون لمقاتلتهم ونجح في القضاء على زعيمهم ارسلان وابنه قلمتش وعدد من أنصاره وقواده ونفى ارسلان إلى الهند ومات مسجوناً بعد أن قضى فيه أربع سنوات، كما انزل بالسلاجقة هزيمة أخرى سنة 419هـ.

3. معركة دندانقان وقيام الدولة السلجوقية:

ظل السلاجقة يتحينون الفرص من اجل الثار للهزائم التي ألحقها بهم محمود الغزنوي⁷، وكان لهم ذلك بعد وفاته وقيام ابنه مسعود الغزنوي سنة 421هـ، 1031م بإدارة الدولة، فانتصر عليه السلاجقة وعرضوا عليه الصلح فاستجاب لهم، إلا انه أمر في الوقت نفسه حاكم خراسان بمحاربة السلاجقة وكان ذلك سنة 429هـ، 1039م فدارت الحرب قرب مدينة نيسابور حيث استقر طغرل بك على عرش الغزنويين وأعلن نفسه حاكما على السلاجقة، حاول مسعود الغزنوي التقدم بجيوشه نحو خراسان والتقى بالسلاجقة في منطقة دندانقان (منطقة قريبة من مدينة مرو في إقليم خراسان) سنة 431هـ، 1040م انتهت بهزيمة الغزنويين، وتوفي مسعود الغزنوي في السنة الموالية 432هـ، 1041م.

أصبح السلاجقة بعد هذه المعركة القوة الفعلية في إقليم خراسان الذي ظل في العصور الإسلامية مركز ثقل سياسي وعسكري هام، ورأينا كيف كان له الدور الحاسم في قيام الدولة العباسية بعد الجهود العسكرية الكبيرة التي قام بها أبو مسلم الخراساني، أدت نتائج المعركة إلى ضعف وتراجع قوة الغزنويين وفي الوقت نفسه صار السلاجقة بعد أن نصب طغرل بك نفسه سلطانا على الدولة الجديدة، وكانت هذه المعركة من بين المعارك الهامة في تاريخ العصور الوسطى، وتقاسم السلاجقة أملاك الدولة الجديدة.

ظل يدرك طغرل بك أن اعتراف الخليفة العباسي يعطيه جزء كبيرا من الشرعية السياسية والدينية فأرسل إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله العباسي¹، ولد سنة 391هـ، 1001م، وتوفي سنة 467هـ، 1075م، توفي وعمره ستة وسبعون سنة، وحكم من سنة 422هـ، 1032م الى غاية 467هـ، 1075م، وكانت فترة حكمه تقريبا 44 سنة، في سنة 432هـ رسالة⁸ تضمنت ولاء السلاجقة للخلافة العباسي وتمسكهم بالدين الإسلامي ورغبتهم في مواصلة إعلاء راية الجهاد ورغم الضعف الشديد الذي أصاب مؤسسة الخلافة إلا أن السلاجقة كانوا في حاجة إلى هذا الدعم الروحي والمعنوي.

باشر طغرل بك المهام السياسية والعسكرية للدولة الجديدة وجاء اعتراف الخليفة العباسي بالدولة الجديدة متأخرا ليكرس واقعا جديدا في تاريخ المشرق الإسلامي وغرب آسيا، من خلال رسم سياسة توسعية اتجاه العالم النصراني وفي مواجهة ماتبقى من أفول دولة آل بويه الشيعية.

4. أشهر حكام دولة السلاجقة:

طغرل بك (427هـ، 1037م، 455هـ، 1063م): هو السلطان أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق التركي، الملقب بطغرل بك، باني دولة السلاجقة الحقيقي، اشتهر بالزهد الزهد والصوم والجهاد، لقب بملك الملوك، ملتزماً بالسنة النبوية الشريفة، متوددا للخلافة العباسية، لكن لم يكن من نسله من يخلفه في الحكم لأنه لم ينجب أولاد، وعلى ما كان له الملك والسلطان إلا أنه لم يكن له أولاد يرثون ملكه، وافته المنية في الري عاصمة ملكه عام 455هـ، 1063م عن عمر ناهز السبعين سنة، بعد وفاة طغرل بك خلفه محمد ألب أرسلان (455هـ، 1063م-465هـ، 1072م)، الذي يعتبر من أشهر القادة العسكريين في تاريخ السلاجقة خاصة بعد أن الحق هزيمة نكراء بالبيزنطيين في ملاذكرد سنة 463هـ، 1071م.

استشهد ألب أرسلان بعد عام ويزيد بعد ملحمة ملاذكرد على يد أحد الناقمين عليه في بلاد ما وراء النهر⁹، وهو في الرابعة والأربعين من عمره سنة 465هـ، 1072م، بعد مسيرة حافلة بالجهاد والإخلاص في سبيل إعلاء راية الإسلام والخلافة العباسية السنية.

خلف ألب أرسلان ابنه ملك شاه أظهر ملك شاه من القوة والحكمة مميزات كبيرة، جعلته يعتلي العرش بعد والده وهو ابن الثمانية عشر عاما، وقد أبان عن عدله وسماحته في إدارة خلال كلمة المبايعة قائلا في الناس "الأكبر منكم أبي، والأوسط أخي، والأصغر ابني"، فأجابته الناس على الولاء والسمع والطاعة ودبر دولته الوزير نظام الملك، الوزير الذي كان له دورا كبيرا في النهضة العلمية والفكرية والحضارية التي عرفتتها الدولة السلجوقية خاصة ما قام به في إنشاء ما عرف في التاريخ الإسلامي بالمدارس النظامية، التي عملت على نشر التعليم السني و محاربة فكر الشيعة الذي عمل آل بويه على زرع بين الناس، توفي سنة 485هـ، 1092م، وبوفاته بدا الصراع على الحكم داخل البيت السلجوقي

بعد وفاته تولى السلطنة محمود الأول، إلا أن عهده تميز بفقدان السيطرة على أملاك والده بسبب الصراعات والانقسامات التي أصابت البيت السلجوقي وامتد حكمه بين 485هـ، 1092م، إلى 487هـ،

1094م، أما السلطان بركياروق فكان من بين المتصارعين على السلطة التي حدثت بين الإخوة امتد حكمه من 487هـ، 1094م إلى 498هـ، 1105م.

لم تستقر الأمور داخل البيت السلجوقي، واستمر الأمر كذلك في عهد السلطان أحمد سنجر الذي فشل في مجابهة الأخطار الخارجية خاصة في معركة قطوان التي تعرض فيها الجيش السلجوقي لخسائر كبيرة خلال مواجهة القرخطائين، أما الهزيمة أمام قبائل الغز فقد أنهت سلطته، رغم أنه فر من الأسر إلا أنه لم ينجح في درء الأخطار التي أحاطت بملكه، توفي بمرو، وبموته انتهى ملك السلاجقة بخراسان، وقطعت الخطبة ببغداد للسلاجقة عند وصول خبر وفاته.

5. الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين

اشتد الصراع بين السلاجقة والإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماكوس حكم الإمبراطورية من 433هـ، 1042م إلى 447هـ، 1055م، حين اختارته الإمبراطورة زوي كزوج، رغم أنه كان منفيًا لتأمره على زوجها السابق ميخائيل السادس وقد اشتركا في إدارة الدولة معا غاية سنة 441هـ، 1050م) تاريخ وفاتها، استغل إبراهيم السلجوقي الظروف فهاجم على على جورجيا وأرمينيا، حتى وصل إلى ملاذكرد.

ثم استمر في الزحف إلى أن وصل طرابزون على البحر الأسود، فتواجه الطرفان في حروب شديدة وقوية استطاع فيها السلاجقة أن يلحقوا هزائم كبرى بالبيزنطيين وحلفائهم من الجورجين والأرمن في معركة كابوترون 439هـ، 1048م، مما أدى إلى إجبار البيزنطيين على التفاوض لكن البيزنطيون فشلوا تلك المفاوضات بتقربهم من الدولة الفاطمية، مما أدى بهجوم طغرل بك على الأراضي الأرمنية وإخضاع مدينة باركري وصالح حاكمها أرجيش على فدية تشمل كميات معتبرة من الذهب والفضة، ثم واصل الزحف نحو ملاذكرد إلا أنها استعصت عليه في المرة الأولى والثانية.

استغل السلاجقة الظروف السياسية التي عرفت الإمبراطورية البيزنطية المتمثلة خصوصا في الصراع على العرش الذي حدث سنة 449هـ، 1057م، فدخلوا قلب الأناضول سقطت خلالها مدن كبادوكيا وملطية، أما عم طغرل بك قلمش بن إسرائيل فاسقط كل من قونية وملطية واقصرا والمناطق المحيطة بها،

واستمر توغل السلاجقة في الأراضي البيزنطية إلى غاية أن وصلوا سيواس سنة 451هـ، 1059م في عهد الإمبراطور قسطنطين التاسع دوكاس.

تولى السلطة بعد وفاة طغرل بك الابن الأكبر للجغري بك ألب أرسلان حيث توفي جغري بك قبل أخيه طغرل بك، كما أن طغرل بك لم يكن له من الأبناء من يرثه، فالت الدولة إلى ابن أخيه ألب أرسلان، بدأت فترة حكمه بالقضاء على الاضطرابات الداخلية التي حاول فيها بعض الأفراد من الأعمام وحتى بعض الأمراء والولاة التمرد ومنازعته الحكم، ومنها ثورة عمه بيغو وثورة الولاة في كل من ختلان وصغانيان وكرمان وغيرها.

أسباب المعركة:

ظلت العلاقات الإسلامية البيزنطية بين مد وجزر منذ بداية الخلافة العباسية، واستمر ذلك في عهد السيطرة السلجوقية، كانت حملات ألب أرسلان مختلفة إذ كانت تهدف إلى إخضاع تلك البلاد نهائيا، خاصة وإن حملات من سبقوه كانت شبه استطلاعية لا تهدف إلى إخضاع المنطقة. جهز السلطان ألب أرسلان جيشاً كبيراً متوجهاً إلى مصر لتخليصها من النفوذ الفاطمي، وفي خلال الحملة اسقط مدينة ديار بكر وأخضع أميرها نصر بن مروان ثم حاصر الرها التي كانت تحت سيطرة البيزنطيين لكنه لم يفلح في فتحها، بعد ذلك أخضع مدينة حلب التي كانت تحت سيطرة الأسرة المرداسية الموالية للدولة الفاطمية وسيطر عليها للدولة الفاطمية، إلا أن الإخبار وصلته من العيون والجواسيس بأن إمبراطور الروم "رومانوس ديوجينيس" المعروف برومانوس الرابع (460هـ/1068م - 463هـ/1071م)، قد خرج بجيش كبيراً قاصداً استرجاع أرمينيا وإنهاء السيطرة السلجوقية خاصة، و الوجود التركي في شرق الأناضول وإيران عامة، وكان الهدف الرئيسي هو إنهاء لخلافة العباسية في بغداد.

سار ألب أرسلان على الفور نحو شرق الفرات، مستهدفاً البيزنطيين لكنه كان يواجه عدة مشاكل حيث فقد خلال مسيره الكثير من الجند والعتاد، كما سرح عدداً معتبراً من الجند الذين أنحكتهم الحروب السابقة، واتجه مع من بقي معه من الجند نحو مدينة خيوى بأذربيجان، ولم يرغب في العودة إلى عاصمته كي يجمع عساكره ويدعو ويتستفر القبائل الموالية له للجهاد.

كان من الحكمة بالنسبة للسلطان ألب أرسلان مواجهه جيش بيزنطة الكبير بمن معه من الجند، دون انتظار المدد والتعزيزات، لان عامل الوقت لن يكون في صالح المسلمين. لان انتظار المدد والعون الذي قد لا يصل، وقد يؤدي إلى الاضطراب فيما تبقي من الجند ويزرع فيهم الملل بعد طول انتظار، اختلف المؤرخون في ذكر عدد أفراد الجيشين فذكر بعض المؤرخين انجيس السلاجقة كان خمسة عشر ألف والجيش البيزنطي ثلاثمائة ألف: "وبقي خمسة عشر ألف فارس من نخبة رجاله ومع كل واحد فرس يركبه وآخر يجنبه والروم في ثلاثمائة ألف ويزيدون ما بين رومي وروسي وغزي وقفجاق وكرجي وأبخازي وخرزي وفرنجي وأرميني"¹⁰.

تباينت آراء المؤرخين، وتنوعت الروايات التاريخية في ذكر العدد الحقيقي لإفراد الجيش البيزنطي فمنهم من قال مائتي ألف جندي من ومنهم من قال أنهم ثلاثمائة ألف، من مختلف الأعراق والملل والبعض الآخر بالغ في وصف عدد قوات الطرفين الجيشين فذكروا أن الجيش البيزنطي كان يضم ستمائة ألف مقاتل في حين أن الجيش السلجوقي كان يضم أربعمائة ألف.

غير أن معظم المصادر أجمعت أن يكون عدد جيش البيزنطيين ثلاثمائة ألف مقابل خمسة عشر ألف جندي مع السلطان ألب أرسلان منهم أربعة آلاف من الفرسان الاشتداد من ما يمكن أن التي تُعرف بالقوات الخاصة التي عادة ما تكون قريبة من السلطان تحرسه ومرافقة له¹¹.

كي يزرع الحماسة بين الجند ويستنفروهم لليوم الموعود خطب السلطان في جيشه فقال: أنا احتسب عند الله نفسي وأن سعدت بالشهادة ففي حواصل الطيور الخضر من حواصل النور الغير رمسي. وإن نصرت فما أسعدني وأنا أمسي ويومي خير من أمسي..¹²

وفي تلك الخطبة أمر الجند ومن معه بمبايعة ابنه ملك شاه إن كتبت له الشهادة قائلاً " فأنا أعهد إليكم وأشهد الله عليكم أن تسمعوا لولدي ملك شاه وتطيعوه، وتقيموه مقامي وتملكوه عليكم. فقد وقفت هذا الأمر عليه، ورددته إليه"¹³.

سير المعركة:

تقدمت الجيوش السلجوقية والبيزنطية حتى وصلتا إلى منطقة الرهوة بين أخلاط وملاذكرد، فأرسل ألب أرسلان رسولا إلى إمبراطور بيزنطة يعرض عليه الهدنة لكنه رفض ذلك وقد كتب إلى ألب أرسلان فيما

معناه أن لا هدنة إلا في الري، وأنني أعدت العدة والعتاد وأنفقت الأموال لأفعل ببلاد المسلمين ما فعلتم ببلاد الروم.¹⁴

كان ألب ارسلان في مقدمة الجيش يقوده بكل حكمة واقتدار وشجاعة، والتقت قوات الطرفين،¹⁵ ، وكانت المعركة حامية الوطيس بينهما استمرت حتى غروب شمس ذلك اليوم الشمس. شكل ألب ارسلان مجموعات عسكرية وأمرها بالتمركز في أماكن محصنة لا تتحرك إلا بعد أن يعطيها الإشارة، ولما اشتدت المعركة أمر القوات الملتحمة مع البيزنطيين بالتراجع، أوهم البيزنطيين ببوادر هزيمة السلاجقة، ولم يكن ذلك إلا تكتيكا حربيا اعتمده ألب ارسلان وهو ارث حربي تركي، يدخل في تكتيكات الحرب عند الأتراك، فاعتقد الجيش البيزنطي إن الهزيمة دفعت بالسلاجقة للتراجع والتقهقر، فتبعهم الجيش البيزنطي، فأخذوا يتبعونهم لمسافة طويلة إلا أنهم لم يتمكنوا من اللحاق بهم¹⁶، . وبعد فترة قصيرة خرجت المجموعات العسكرية المختبئة لتلتف حول الجيش البيزنطي بشكل يشبه الهلال بعد أن أمطروهم بوابل من السهام قتل منهم الآلاف، فأصبح الجيش البيزنطي بين فكي كمامشة كما يقال، وأحاط السلاجقة بقلب الجيش البيزنطي الذي يقوده الإمبراطور رومانوس وعزلوه عن باقي جيشه ثم غير الفرسان الذين كانوا يتظاهرون بالانسحاب اتجاههم وعادوا لمواجهة الجيش البيزنطي وبدأ السلاجقة بإبادة جيش الإمبراطور رومانوس.

نجح هذا التكتيك الحربي في إلحاق هزيمة نكراء بجيش بيزنطة، فقتل من قتل، وفر البعض إلى المناطق البعيدة وتم إلقاء القبض على الإمبراطور الذي وجد نفسه خاضعا مستسلما أمام السلطان ألب ارسلان، قام السلطان بتوبيخ الإمبراطور وضربه بيده ثلاثة مقارع، لإصراره على قتال المسلمين ورفضه الهدنة. نقل كثير من المؤرخين الحوار الذي دار بين السلطان ألب ارسلان والإمبراطور البيزنطي رومانوس يمكن العودة إليه¹⁷. مقابل أن يطلق سراحه فدي الإمبراطور نفسه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، وأن يلتزم بإرسال عساكر الروم للسلطان متى أراد ذلك، وأن يطلق أسرى المسلمين في بلاد الروم. وأنزل السلطان الإمبراطور في خيمة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها¹⁸.

نتائج المعركة:

اعتبرت الكتابات التاريخية على أن معركة ملاذكرد تعد أكبر كارثة حلت على بيزنطة، حيث انهارت نفوذ بيزنطة بمنطقة آسيا الصغرى، وأصبحت البوابة الشرقية لأوروبا تحت التهديد الإسلامي بعد أن فشلت بيزنطة في حمايتها . وإذا ما قارنا معركة ملاذكرد باليرموك فاليرموك مهدت الشام أمام المسلمين فملاذكرد فتحت أبواب آسيا الصغرى للقبائل التركية المسلمة¹⁹.

اسر الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع، ولم يطلق سراحه إلا بفدية وما نتج عن ذلك من الآثار النفسية والعسكرية على البيزنطيين.

اعترف البيزنطيون بسلطة السلاجقة في آسيا الصغرى، وقيام ما عرف بدولة سلاجقة الروم. تعد معركة ملاذكرد وما نتج عنها أحد أهم أسباب الحملات الصليبية فيما بعد، حيث أن اختراق السلاجقة لحدود العالم المسيحي هيج الحملات الصليبية على العالم الإسلامي.

أحدثت معركة ملاذكرد نتائج وانعكاسات عميقة شملت مختلف المجالات فعلى الصعيد السياسي كانت سببا في قيام الحرب الأهلية داخل بيزنطة والتي استمرت عشر سنوات. أما على الصعيد الاقتصادي فالمعركة أحدثت أزمة اقتصادية بسبب نهب ثروات الإمبراطور من جهة ومن جهة ثانية الفدية التي دفعت للسلطان. دون أن ننسى المعاناة النفسية التي أحدثتها المعركة بعد وقوع الإمبراطور رومانوس الرابع أسيرا في يد المسلمين²⁰.

كانت معركة ملاذكرد سببا في إنقاذ دولة الفاطميين من يد السلاجقة لان السلطان ألب أرسلان كان قد خرج في حملة عسكرية الهدف منها القضاء على الفاطميين في مصر والشام لكن تهديد وغزو البيزنطيين لأراضيه جعله يغير مساره وبذلك تأجل القضاء على الفاطميين²¹.

الخاتمة:

- كان ظهور السلاجقة مميّزا على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي، خاصة محاربتهم للغلاة المتطرفين البويهيين والفاطميين، بمساهمتهم في نصرته أهل السنة.
- تأثير شخصية ألب أرسلان السياسية والعسكرية في تاريخ السلاجقة
- من الناحية الدينية أثبتت نتائج معركة ملاذكرد أن العبرة ليس بالكثرة إنما بالعزيمة والقوة والإيمان، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة، لأن المصادر كتبت أن الجيش البيزنطي كان يفوق الجيش السلجوقي بعدة

مرات، كما كانت هذه المعركة انتصاراً للدعوة الإسلامية، وانتشار الإسلام في المناطق التي كانت تحت سلطة البيزنطيين، وفتحت المجال للمسلمين واسعاً للتغلغل في آسيا الصغرى التي كانت تحت سلطة الإمبراطورية البيزنطية.

- تعد هذه المعركة من المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين، فهي لم تكن نصراً عسكرياً فقط، بل نصراً استراتيجياً قضى على التحالف البيزنطي الفاطمي الذي كان يرغب الطرفان في تحقيقه كما أضعفت الدور العسكري لبيزنطة من خلال خليها عن أجزاء كبيرة من الأراضي التي سيطر عليها المسلمون. أما من الناحية العسكرية فكانت هذه المعركة نكسة عسكرية ومعنوية في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، فلم يستطع جيشها الجرار الوقوف أمام المد السلجوقي، رغم عدته وعتاده.

- فتحت نتائج هذه المعركة الباب واسعاً أمام السلاجقة في منطقة آسيا الصغرى، وكان من نتائج ذلك تأسيس سلطنة سلاجقة الروم على يد سليمان بن قتلмыш، وذلك تحت سيادة دولة السلاجقة العظام في عهد السلطان ملك شاه.

- ساهمت نتائج هذه المعركة على المدى البعيد في نشر الثقافة الإسلامية مما انعكس على الواقع الثقافي والاجتماعي في منطقة الأناضول خاصة وآسيا الصغرى عامة. لذلك اعتبرت هذه المعركة واحدة من المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي، من خلال نتائجها وانعكاساتها المتعددة الأبعاد، سياسياً ودينيًا وعسكريًا واستراتيجيًا.

الهوامش

- القرماني أحمد بن يوسف، أخبار الدول وأثر الأول، تح، أحمد حطيط، ط، دار عالم الكتب، 1410هـ، 1992، ص، 163. ¹
سميرة الجبوري، الدولة السلجوقية منذ قيامها، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 1995، ص، 70. ²
وهم ميكائيل، يونس، موسى، ارسلان. ³

⁴ عاشت دولة السلاجقة مدة 270 سنة وذلك من سنة 419 إلى سنة 699 وقد تفرع منها فروع:

بعضها من أصل آل سلجوق: وهي الفروع التي حكمت في كرمان وحلب ودمشق وبقية بلاد الشام والعراق وكردستان وآسيا الوسطى المعروف ببلاد الأناضول، وهي أطول الفروع عمراً وبعضها متفرع عنها من ممالكها ووزرائها وهي عشرون فرعاً أشهرها: الفرع الزنكي، والأرتقيّة حكام ماردين وديار بكر، وخوارزم، وكان لهم الفضل الكبير في أسلمه آسيا الصغرى، وتغيير التركيبة السكانية فيها وذلك قبل العثمانيين للمزيد عن السلاجقة انظر: العماد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2004م.

⁵ يعتبر محمود الغزنوي، بمين الدولة المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية، ومن أهم رجالات الحضارة الإسلامية، ولد في 361هـ، 971م وتوفي سنة 421هـ، 1030م، حكم الدولة الغزنوية من 393هـ، 998م إلى 421هـ، 1030م، وكان له عدة أعمال جليلة على المستوى السياسي والعسكري، إذ أسس إمبراطورية واسعة شملت أجزاء واسعة من العالم الإسلامي كما قام بعدة فتوحات أشهرها على الإطلاق فتح الهند التي غزاها سبعة عشر مرة، كما كان له اهتمام كبير بالعلم والعلماء وقد عاش في عصره واحد من أشهر العلماء المسلمين، العالم والفلكي الرياضي أبي الريحان البيروني، الذي قدم له الكثير من الأعمال العلمية، للمزيد، ينظر: عفاف صيرة، نجوى كيرة، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسة حضارية، ط1، زهراء الشرق، 2009م، ص49، وما بعدها. وأيضاً، عبد الستار مطلق درويش، السلطان محمود الغزنوي سيرته ودوره السياسي والعسكري في خراسان وشبه القارة الهندية، (361هـ، 421هـ)، دار عالم المعرفة، 2020م.

⁶ سميرة الجبوري، مرجع سابق، ص24.

⁷ عفاف صيرة، نجوى كيرة، مرجع سبق ذكره، ص49-58.

⁸ أبان ألب ارسلان في هذه الرسالة الشهيرة التي أرسلها إلى الخلافة العباسية عن الدور الجهادي للسلاجقة وفخرهم وانتسابهم للأمة الإسلامية وعن الانجازات التي حققها أسلافه دفاعاً عن الأمة. عن أهمية الرسالة وكيف تفاعل معها الخليفة العباسي القائم بأمر الله ينظر: الأصفهاني محمد بن محمد بن حامد، تاريخ دول آل سلجوق، ط3، بيروت، 1400هـ، 1980م، ص123.

⁹ للمزيد عن رواية مقتل ألب ارسلان ينظر: علي محمد الصلابي، دولة السلاجقة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1427هـ، 2006م، ص93.

¹⁰ الأصفهاني، مصدر سبق ذكره، ص47.

¹¹ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد ابن الجوزي (597هـ)، المنتظم في تاريخ الممالك والأمم، ج16، تح، محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1993م، ص123.

¹² عماد الدين الأصفهاني، مصدر سبق ذكره، ص37، 38.

- ¹³ ابن الجوزي مصدر سبق ذكره، ج 16، ص 123.
- ¹⁴ ابن الجوزي مصدر سابق، ج 16، ص 124.
- ¹⁵ غضب السلطان ألب ارسلان كثيراً من رد الإمبراطور رومانوس ورفضه الهدنة وبدأ عليه الانزعاج فهدأه فقيهه وشيخه أبو نصر ناصحا إياه ومذكراً أن ما يقوم به هو فقط من أجل إعلاء راية الإسلام والمسلمين. ينظر: ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الممالك والأُمم / الجزء السادس عشر ص 125.
- ¹⁶ تحكم البيزنطيون في نفس الأساليب الحربية التي اشتهر بها الرومان فعادة ما كان الفارس البيزنطي محملاً بالأنثقال، السلاح والدروع والمؤن، مما يجعل الفارس والفرس في حركة ثقيلة، تتميز بينما كان الفرسان الأتراك أخف وزناً وحركة وسرعة، وقد ورث المغول فيما بعد نفس الأساليب الحربية التي كانت عند الأتراك.
- ¹⁷ ابن الجوزي، مصدر سابق، ص 125.
- ¹⁸ أبو الحسن علي بن محمد بن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية (بيروت)، ج 8، ط 4 (1423هـ/2004م)، ص.
- ¹⁹ نائف بن حمود أبو قريجة، النظم الحربية عند السلاجقة ط 1، 1423هـ، ص 123.
- ²⁰ محمد زرقوق، عبد الباسط قلفاط، معركة مناز كرد سنة 463هـ، 1071م وانعكاساتها على الصراع الإسلامي البيزنطي في آسيا الصغرى، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 5، عدد 2021، ص 343.
- ²¹ نفسه.

المصادر والمراجع:

1. المصادر:

1. ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط 4 (1423هـ/2004م).
2. ابن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت 597هـ)، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ج 9، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ، 1993م

3. الذهبي شمس الدين، سير أعلام النبلاء، عدة أجزاء، تح: إبراهيم الزبيق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ/1996م.
 4. الأصبهاني العماد: تاريخ دولة آل سلجوق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، 2004م.
 5. الطبري محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك والأمم، ج5، ج6، دط، مح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالمعارف، مصر، د س ن.
 6. القرطبي أحمد بن يوسف، أخبار الدول وأثار الآول، تح: أحمد حطيط، دار عالم الكتب، 1410هـ، 1992م.
2. المراجع:
1. إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1989م.
 2. حلمي احمد كمال الدين، السلاجقة في التاريخ والحضارة، دار السلاسل، الكويت، 1406هـ، 1986م.
 3. الحضري محمد بك، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العباسية، تح: محمد العثماني، ط1، دار القلم، بيروت، 1406هـ.
 4. الحضري محمد بك، الدولة العباسية، دط، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1425هـ، 2004م.
 5. درويش عبد الستار مطلق، السلطان محمود الغزنوي سيرته ودوره السياسي والعسكري في خراسان وشبه القارة الهندية، (361هـ، 421هـ)، دار عالم المعرفة، 2020م.
 6. الزيداني عمر أنور: الوزير السلجوقي نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (485/408هـ)، تق: محمد الزحيلي، دار العصماء (دمشق)، ط1 (1438هـ/2017م).
 7. طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة العباسية، ط7، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1430هـ، 2009م.
 8. الصلابي علي محمد، دولة السلاجقة، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1427هـ، 2006م.

9. عطا زوبيدة، بلاد الترك في العصور الوسطى "بيزنطة، وسلاجقة الروم والعثمانيون"، دار الفكر العربي، دت
10. فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية عصر القوة والإزدهار، ج1، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009م.
11. عفاف صبرة، نجوى كيرة، تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي دراسة حضارية، ط1، زهراء الشرق، 2009م.
12. أبو قريحة نائف بن حمود بن محمد، النظم الحربية عند السلاجقة، ط1، 1423هـ.
13. سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ج2، القاهرة، 1975م
14. محبوبة عبد الهادي محمد رضا ، نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي (408/485هـ)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1419هـ/1999م.

3. المقالات:

1. زرقوق محمد، عبد الباسط قلفاط، معركة مناز كرد سنة 463هـ، 1071م وانعكاساتها على الصراع الإسلامي البيزنطي في آسيا الصغرى، المجلة التاريخية الجزائرية، مج 5، عدد 2، 2021م، ص 343
2. سميرة الجبوري، الدولة السلجوقية منذ قيامها، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد 1995م.
3. شاكر محمود، دخول الترك الغز إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، مجلة الآداب والتربية، 1974م